المنهج الوظائفي :

يعتبر فلادمير بروب أحد أهم رواد الشكلانية ، و من المنظرين الأوائل في حقل الدراسات البنيوية ، وقد قدم هذا الباحث تصوره عن الشخصية في كتابه الذي يعتبر الفتح المبين للدراسات البنيوية الدلالية و الذي اهتم فيه "بروب" بجانب الشخصية الحكائية المورفولوجي ، و عدت هذه الدراسة ثورة منهجية حقيقية أولت لأول مرة الاهتمام بالشكل على حساب المضمون .

حدد صاحب كتاب "مورفولوجية الحكاية الخرافية الروسية" بدقة كلمة مورفولوجية و جعلها تعني «دراسة الأشكال ،و تعني في علم النبات دراسة الأجزاء المكونة للنبات ، و علاقتها ببعضها البعض ، و بالكل و بمعنى آخر :دراسة بنية النبات»[1]).

و يتكون كتابه من مقدمة و تسعة فصول و ثلاثة ملاحق ، و هي كما يلي :

1-تاريخ القضية .

2-المنهج و المادة .

3-وظائف الشخصيات .

4-التماثلات و ازدواجية الدلالة المورفولوجية لنقس الوظيفة.

5-بعض العناصر الأخرى للحكاية .

6-الطرق التي تقدم بها شخصيات جديدة في الحكاية .

7-توزيع الوظائف بين الشخصيات .

8-في صفات الشخصيات و أهميتها.

9-الحكاية ككل.

الملاحق الثلاث .

و يعرف تحليل "فلاديمير بروب " في الدراسات الشعبية بصفة خاصة بالتحليل الوظائفي ،نسبة إلى الوظيفة لأن هذه الأخيرة وهي « فعل الشخصية تعرف من وجهة نظر أهميتها لمسيرة الفعل »[2] تعد ركيزة هذا التحليل الذي يتصف بالبساطة لاهتمامه بالشكل المتمثل في وظيفة الشخصية ،و هو واحد من العناصر المشكلة بنيتها، وبالمقابل أهمل "بروب" تماما جانب المضمون.

---

[1] – فلادمير بروب ، مورفولوجية الحكاية الخرافية الروسية ، ترجمة إبراهيم الخطيب ، الناشرون المتحدون ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1986.، ص40.

[2] – المرجع السابق ،ص4.

تقوم الفكرة الرئيسية للكتاب على أن التنوع الهائل للتفاصيل في الحكايات الخرافية الروسية يمكن إرجاعها لحبكة واحدة ، و أن عناصر هذه الحبكة (و عددها واحد و ثلاثين عنصرا) دائما واحدة ، و يتبع كل عنصر الآخر بنفس الترتيب ، و قد أطلق -كما ذكرنا -بروب على هذا العنصر الوحيد الثابت في الحكاية الخرافية اسم الوظيفة .

و يقوم منهج الدراسة في الكتاب المذكور على أخذ "فلادمير بروب" مئة حكاية من تصنيف «أنتي أرني» العالمي ؛ أي تلك الحكايات التي تقع ما بين 300 و 749 ،و قام بمقارنتها ببعضها البعض حسب أجزائها و علاقة هذه الأجزاء ببعضها البعض و بالكل .

لاحظ "بروب" أن بعض الوحدات النصية تتكرر من نص لآخر على عكس بعض الوحدات النصية التي تختلف من نص لآخر ، فسمى النوع الأول من الوحدات "قيما ثابتة". و سمى النوع الثاني من الوحدات "قيما متغيرة "، فمثلا :

1-يعطي قيصرا نسرا للبطل و يحمل النسر البطل بعيدا إلى مملكة آخرى.

2-يعطي رجل عجوز حصانا لسوشنكو و يحمل الحصان سوشنكو بعيدا إلى مملكة أخرى.

3-يعطي الساحر قاربا لإيفان و يحمل القارب إيفان إلى مملكة آخرى .

4-تعطي الأميرة خاتما لإيفان يظهر من داخل الخاتم شباب يحملون إيفان بعيدا إلى مملكة أخرى.

من الحالات السابقة متغيرات و ثوابت ،تتغير أسماء الشخصيات لكن أفعالها و وظائفها لا تتغير . و يمكننا أن نستنتج من ذلك أن الحكاية غالبا ما تعزو أفعالا واحدة لشخصيات مختلفة. ما يجمع هذه الحالات وظيفة العطاء (يعطي رجل ، يعطي ساحر ، يعطي قيصر ، تعطي أميرة...) و تجمعها كذلك وظيفة التنقل. أما ما تختلف فيه فهي الشخصيات و الأوصاف و الأسماء و الأدوات و الأزمنة و الأمكنة.....

و عد "بروب" الوظيفة الوحدة الأساسية لقياس النصوص و للكشف عن بنيتها الداخلية ، و لإبراز قوانينها الخاصة ، فنص الحكاية تتحكم في بنيته الشكلية الوظائف التي توصل إلى حصرها في 31 وظيفة [3]، و قد سمى النص الذي يحتوي على كل الوظائف بالنص المثالي ،و الوظائف داخل

---

[3] *- هذه هي وظائف الحكاية كما قدمها فلادمير بروب :-الوظيفة 0: مقدمة الحكاية.-الوظيفة1 :الرحيل.-الوظيفة2 :المنع.-الوظيفة3 :خرق المنع.-الوظيفة4 : ظهور الشخصية الشريرة .-الوظيفة5 :حصول الشرير علة معلومات.-الوظيفة6 :الخداع.-الوظيفة7 :استسلام.-الوظيفة8 :الشر.-الوظيفة9 : تفويض او وساطة.-الوظيفة10 :قبول البطل الصراع.-الوظيفة11 : الإنطلاق (البطل).-الوظيفة12 :اختبار.

الوظيفة13 :رد الفعل البطل.-الوظيفة14 : المنح.-الوظيفة15 :الانتقال.الوظيفة16 :الصراع.الوظيفة17 :العلامة أو الوسم.-الوظيفة18 :النصر .-الوظيفة19 :اصلاح الإساءة.-الوظيفة20 :العودة.-الوظيفة21 : المطاردة (الشرير).-الوظيفة22 :المساعدة.-الوظيفة23 :عودة البطل متسترا.-

النص خاضعة لمنطق معين و لترتيب دقيق بحيث لا يجوز أن تسبق وظيفة أخرى ، أو أن تتأخر عنها ، و لا تأتي في مكانها كما أنه ليس حكما مطلقا مثالية النصوص فكثير منها لا يحتوي على كل الوظائف ، و هذا ليس بعيب فقد تغيب بعض الوظائف ، و لكن الأكيد أن بنية أي حكاية لا تقوم إلا على هذه الوظائف التي تترجم حركات الشخصيات و الأشياء و الرموز. و تصب هذه الوظائف في سبع دوائر تتكتل حولها سبع شخصيات [4].

يكون "فلادمير بروب "بعمله هذا قد حل إشكال تصنيف الحكايات الشعبية ؛ و من المعلوم أن الدارسين في حقل الدراسات الشعبية اشتغلوا بجمع المادة الفولكلورية و تصنيفها ، و قد أفرزت العملية بوجود : تصنيف "أنتي أرني" ، و تصنيف "سميث طومسون" ، و هو توسيع للأول .ونظرت هذه التصانيف إلى المادة على أساس المحتوى و أهملت الشكل لذلك جاءت محاولات كثيرة لتصنيف القصص الشعبي إلى أنماط أساسية تندرج تحتها المادة ، و لكن سرعان ما اختلف الدارسون إلى النظر إلى الأجزاء المكونة للحكاية . فهل نبدأ بالموضوع؟ أم العنصر ؟أم الحدث؟ و قد برزت كما هو معروف المدرسة الجغرافية التاريخية ،و بالغت في تفتيت عناصر الحكاية إلى أقصى حد مع الإهمال الكلي للجانب الشكلي ،ثم ظهر اتجاه آخر ركز على التصنيف النوعي؛ أي تصنيف الحكايات إلى : حكايات شعـــبية ، و خرافية و حكايات الواقع الاجتماعي ، و حكايات الحيوان و قد اعتبر تصنيف الباحث الألماني "فندت" أشهرها *[5]: و قد وجهت له انتقادات أبرزها كيف نميز مثلا بين الحكايات الخرافية و الفابيولات الميثولوجية ؟.ثم ظهر بعد ذلك الاتجاه النفسي و الاجتماعي و اهتم فيه أصحابه بالمضامين على حساب الشكل ، و بعدها ظهر التيار الشكلي ، و منه" بروب" الذي كان همه –كما رأينا – فحص الأشكال الفنية للحكايات ، و الاعتناء بوظائفها في الكتاب الذي ذكرناه و الذي ترجم لأول

الوظيفة24 :ظهور البطل المزيف .–الوظيفة25 :عرض مهمة صعبة على البطل.–الوظيفة26 :الإنجاز.–الوظيفة27 :الاعتراف بالبطل الحقيقي.–الوظيفة28 :كشف البطل المزيف.–الوظيفة29 :ظهور البطل في مظهر مزيف.–الوظيفة30 :معاقبة البطل المزيف.–الوظيفة31 :المكافأة.ينظر الفصل الثالث من كتاب مورفولوجية الحكاية الخرافية ، من ص 82 إلى ص135.

*–[4] الشخصيات هي :1–دائرة فعل الشرير..2–دائرة فعل البطل.3–دائرة فعل المرسل.4–دائرة فعل المساعد.–5دائرة فعل المانح.6–دائرة فعل البطل المزيف.7–دائرة فعل اللأميرة . قد تشترك شخصية واحدة في دوائر فعل عديدة (مانح و مساعد في الوقت نفسه) ––توزع دائرة فعل واحدة على أو بين عدة شخصيات.––عندما تغيب وظيفة المساعد تتحول إلى البطل مباشرة.––قد يقوم المساعد بوظيفة البطل .ينظر فلادمير بروب ، مورفولوجية الحكاية الخرافية ، ص159/158.

[5] * من أشهر التصانيف الذي قسم القصص الشعبي إلى –1–الفابيولوت الميثولوجية.2–فابيولات الحيوان فابيولات أخلاقية.3–فابيولات بيولوجية .4–حكايات السحر الخرافية.

مرة إلى اللغة الأنجليزية عام 1958 ، أي بعد ثلاثين سنة من ظهوره فأحدث ثورة في علم الفولكلور .كما تمت ترجمته إلى الفرنسية عام 1973 و إلى العربية سنة 1986.

يجدر بي القول عن "بروب" أنه أدرك في مرحلة متقدمة جدا أهمية فعل الشخصية على الرغم من إغفاله أهمية تحوله و تغيره ، و ذلك عندما حصره في إحدى وثلاثين وظيفة ، وقد تلقى جراء ما أغفله في دراسته الشخصية الحكائية مجموعة من الانتقادات من أهمها :

-إقصاء مضمون الفعل .

-اعتباره الوظيفة عنصرا أساسيا في السرد؛ أي اعتبار ما تفعله الشخصية أهم من هويتها و صفاتها .

-لم يذكر بروب الحد الأدنى من الوظائف أما قوله إن تتابع الوظائف واحد دائما ، و في كل الحالات فغير مبرر . و قد صرف هو نفسه بعض الاستثناءات ببساطة شديدة. كما أنه غير تعريفه للوظيفة حسب نتائجها و مكانها في تسلسل الحكاية فمثلا قد يتسلم البطل أداة سحرية عند ميلاده أو في بداية بحثه أو حتى قبل إنجاز عمله البطولي .

-تلقى بروب الهجوم على رأيه فيما هو ثابت و متغير في الحكاية الخرافية فالعناصر الثابتة كما يرى هي أعمال أو وظائف الشخصيات أما الشخصيات نفسها فهي متغيرة ، و لا يمكن الركون إليها في أي تحليل مورفولوجي، و لكن اختيار ما هو ثابت و متغير يعتمد على نظرة الباحث إذ يمكنه أن يعتبر الشخصيات كثوابت و أفعالها كمتغيرات أو العكس .

و مع كثرة الانتقادات الموجهة لبروب، فإنه لا يمكن لأي دارس تجاهل تبولوجيته و الاستغناء عنها « ولقد بينت التطورات اللاحقة التي عرفها التحليل السردي (في الرواية و القصة و المسرح وكل الأشكال التصويرية الأخرى)أهمية الحدس البروبي في تصوره لهيكلة الحكاية العجيبة ، وتبعا لذلك مكانيزمات بناء الشخصية وتبلورها كوحدة معجمية ظاهرة من خلال التجلي النصي»[6] ، أي الشخصية بوصفها دالا ، وقد كان بروب يعي تماما أهمية هذا الدال (اسم الشخصية ، لقبها ،بيتها) إلا أن توجه خطة عمله نحو الوظائف جعلته يقصيه ، يقول بروب :« لقد فصلنا بدقة فيما مضى بين السؤال عمن يقـــوم بالفـــعل في الحكاية ، والسؤال عن الأفـــعال نفسها ، وتسميات الشخصيات

[6] – سعيد بنكراد ، سيميولوجية الشخصيات السردية (رواية الشراع و العاصفة لحنا مينة نموذجا) دار مجدلاوي ،عمان ، الأردن ، ط1 ، 2003/1423، ص31.

و خصائصها متغيرة في الحـكاية .ونعني بكـــــلمة خصائص كافة الخصائص الخارجية للشخصيات عمرها ، و جنسها و مكانتها ، و مظهرها الخارجي، و خصائص هذا المظهر»[7] .

وأعتقد أن التزام "بروب" بمنهج محدد ، مصرح به كما شاهدت من خلال الفقرة السابقة ، يمنح عمله الأهمية المنهجية ، ويجعل من العناصر التي لا يتضمنها التحليل هامشية ، وعلى قدر من الأهمية أيضا لأن النقد المعاصر وبالأخص النقد الفرنسي ، ثمن أفكار بروب عن التحليل المورفولوجي وبالتحديد خصائص الشخصية،وهو أي النقد الفرنسي ينزع في توجهاته المختلفة بطريقة غير مباشرة إلى منهجه، و السبب يرجع إلى أن النقاد رأوا « أن مناقشاته في النظرية والمنهج أشمل من النتائج التي أحرزها ،إذ أضحت نقطة البداية في نوع جديد من تحليل السرد ، وفي الوقت نفسه أسست بعض محدودياته » [8] .

إن الوقوف عند نموذج "بروب " البسيط ضروري لكل تحليل يبتغي النظر في بنية السـرد و دلالته بصفة عامة وفي مقولة الشخصية بصفة خاصة.و قد أغرى هذا المنهج التحليلي كثيرا من الباحثين المعاصرين بدراسة التراكيب السردية و من ثم أغراهم بالبحث عن صيغ أو قوانين ثابتة لها ،حتى أن رولان بارط يقول عن بروب إنه« فتح الطريق أمام الدراسات الحديثة»[9] .

---

[7] – فلاديمير بروب، مورفولوجية الحكاية الشعبية الخرافية الروسية ،ترجمة إبراهيم الخطيب ، ص 172.

[3]– والاس مارتن ، نظريات السرد الحديثة ، ترجمة حياة جاسم محمد ، ص118.

[9]– رولان بارط ،التحليل البنوي للسرد ترجمة حسن بحراوي و بشير القمري و عبد الحميد عقار، ص19.